حقوق التوطن فى العلاقات الخارجية المصرية - الفلسطينية حتى نهاية عصر الدولة الحديثة

دكتور

أحمد عبد القادر جلال

استاذ الآثار المصرية المساعد

كلية الاثار - جامعة القاهرة

حقوق التوطن فى العلاقات الخارجية المصرية - الفلسطينية حتى نهاية عصر الدولة الحديثة

فى الأبحاث التى عالجت قضايا توطين أو توطـن المصريين والفلسطينيين ، كل فى بلد الآخر ، فى نطاق الحدود الجـغرافية المتعارف عليها سياسيًا حتـى نهاية عصر الدولة الحديثة المـصرية ، كانت القـضايا المطروحة للـمناقشة ترتـكز ، بصفة أساسـية ، على الخلفيات والـبواعـث العسكريـــة - السياسية والإقـتصادية التى دفعت المـواطنين ، هنا وهناك ، إلى الإقامة ، كل فى بلد الآخر ، دونما معالجة قانونية لشرعية هذا التوطن أو تحديد لإختصاصات المـتوطنين فى ضوء ما يقترن ، فى لغة العـصر السياسية ، **بحقوق الهجرة والتوطن بين الدول ، وهو ما تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء عليه إعتماداً على مصادر وثائقيـة تاريخية ، أو وقائع لتجارب فـردية حرص أصحابها من المستـوطنين من** أبناء الـبلدين عـلى تذكيـر غيرهم بهـا ، إما مصورة أو مـسجلة فـى قوالب قصـصية أو تقريرية ، وهو ما جعل التعرض لإقامة طائفة فلسطينية مهمة كالطائفة العبرانية ، ممثلة فى توطين النبى يوسف عـليه السلام وإخوته الذين عرفوا من بعده ببـنى إسرائيل مصر ، أمراً لايمكن تجاوزه ، ليس فقط من حيث أهميته كمصدر موثوق به ، بل باعتباره إضافة بحثية ترتبط فيها موثوقية ما جاءت به الكتب السماوية بما تأكد فى الوثائق المصرية والفلسطينية على حد سواء .

غير أن توضـيح الخطوط العريـضة لحقوق وإختصـاصات هذا التوطن المـتبادل بين المصريين والفـلسطينيين ، يتطـلب عرض ومعالجة قضيـتين حيويتين إرتبطتـا ليس فقط بالعلاقات الخـارجية بين شعوب الدولتين - إن صـحَّ التعبير - ، وإنما بما تعـكسانه من جوانب حضارية تمس الجانب المؤثر فى حركات التوطن هذه .

والقضية الأولى تتصل بالكيفية التى عولجت وقُدِّمتْ بها التأثيرات الحضارية المتبادلة بين بلدان الشرق الأدنى القـديم ، والتى يلاحظ عليها ما يمكن إعتبـاره مغالطة حضارية

تمثلت فى الإتجاه إلى إستخدام مصطلحات مثل « غير مؤثرة » ، أو « غير مستحبة » [١] فى وصف أو تقييم التأثيرات الحضارية التى يفترض أن مصر الفرعونية ، بحكم سيطرتها الإدارية والعسكرية على أجزاء من فلسطين خلّفتها فى أرجاء المنطقة الممتدة ما بين الحدود الشرقية لشبه جزيرة سيناء ومناطق جبيل وما حولها . وبينما توصف الآثار المصرية القديمة التى يعثر عليها فى فلسطين وما حولها بأنها « آثار محمولة » [٢] نقلت عبر تبادلات تجارية بين المصريين وشعوب هذه المنطقة ، فإن التشابه الذى يميز بعضًا من أنشطة حضارية مصرية قديمة وفلسطينية - سورية يُرَدُّ إلى ما إصطُلِحَ على تعريفه بـ « التأثيرات الآسيوية » فى الحضارة الفرعونية ، والتى ظهرت فى نواح مختلفة منها ما إرتبط بالفكر الدينى كالإعتقاد ببعض طقوس دينية آسيوية ، أو الإيمان بقدرة آلهتها مثل « رشف » و « عنات » و « عشترة » و « حورون » ، سواء فى صورها الآسيوية ، أو بأشكالها الممزوجة بآلهة مصرية قديمة [٣] . ومنها ما إقترن بجوانب لغوية كظهور أسماء وأفعال سامية بين مفردات اللغة المصرية[٤] . فضلاً عما يذكر بشأن أنظمة إدارية إستحدثها الهكسوس فى مصر بوصفهم غزاة جاءوا من فلسطين ، مع ما نقلوه من أنظمة دفاعية وهجومية إعتمدت على خطط حربية ومعدات عسكرية لم يكن المصريون على علم بها [٥] .

وأخذاً بوجهة نظر مناقضة لهذه الآراء ، تربط بين هذه الآثار المصرية القديمة فى فلسطين وما حولها ، وبين وجود عسكرى مصرى لضمان أمن الحدود المصرية تطلب الإستحواذ على مناطق فلسطينية متاخمة لهذه الحدود ، يمكن القول أن هذا الإتجاه العسكرى الأمنى واكبته سياسة توطينية لهذه المناطق بدأها القادة العسكريون ممن طُلِب منهم مراقبة تحركات البدو الذين هدد بعضهم الحدود المصرية ، والنازحين ممن يرغبون

---

(١) " Kultureinfluss ", in **L.A.**, III, Kol. 867.

(٢) **Ibid.**, Kol. 867 .

(٣) **Ibid.**, Kol. 868 .

(٤) **Ibid.**, Kol. 869; T.W. Thaker, **The Relationship of the Semitic and Egyptian Verbal Systems**, Oxford, 1954, XXI ff .

(٥) " Kultureinfluss "., in **L.A.**, III, Kol. 869; " Palastina "., in **L.A.**, III, Kol. 642 - 643 .

فى الإستقرار بمصر ، ثم تبعهم مستوطنون مصريون إستحبسوا البقاء فى هذه المستوطنات ، ونشأت بينهم وبين سكان هذه المناطق ، بطوائفهم المختلفة ، علاقات إجتماعية شكلّتْ ما يمكن تعريفه بالمجتمعات المختلطة .

وتتصل القضية الثانية بحركة التوطن ذاتها ، والصعوبات التى تُبرز عند تحديد من الأسبق فى توطن أرض غيره ، بمعنى : هل كانت سياسة المصريين لتأمين حدود بلادهم الشمالية الشرقية من تسلل سكان فلسطين النازحين إليها ، دافعًا لإيجاد ما يمكن أن يطلق عليه أحزمة أمنية ترتكز على بناء المستوطنات الحدودية ، وما وراء الحدود فى فلسطين نفسها ؟ ، وهو ما يفترض معه أيضًا ، أن تمتع مصر بعلاقات تجارية كبيرة مع سكان الساحل الفينيقى إستهدفت ضمان إستيراد الأخشاب وعطور وزيوت المعابد ، دافعًا أو سبيلاً إلى ما يمكن أن يطلق عليه توطن إقتصادى تمثّل فى إقامة مراكز تجارية مستقرة فى فلسطين وجنوب سورية أدار حركتها وأشرف على أنشطتها التجارية موظفون مصريون أقاموا بصفة رسمية فى هذه المناطق .

أمْ على صعيد آخر ، كان لقحط المناطق الجنوبية من فلسطين ، وخشونة العيش فيها ، والتنافس الشديد بين طوائفها على مصادر مياهها المحدودة ، سببًا فى تسلل بعضهم إلى الحدود المصرية والاستقرار فى مناطق من سيناء أو على أطراف الدلتا الشرقية ، وهو ما نمّتْ عنه بعض من أقدم النقوش المصرية وتحدثت عن أسبابه ومظاهره النصوص المصرية فى العصور التاريخية .

ومع صعوبة إعطاء أجوبة محددة عن هذه التساؤلات ، فإن كل ما يمكن تقديمه فى هذا السياق ، ومن خلال أدلة أثرية تتصل بهذه القضايا ، أن الخير الذى نعم به المصريون على ضفاف النيل كانت تقابله أطماع من سكان جنوب فلسطين ، دفعت بهم إلى التسلل إلى سيناء أولاً ، ثم إلى أطراف الدلتا الشرقية لإختلاس الإقامة فيها . وفى الحالتين كان هؤلاء المتسللون أو النازحون يقابلون بمقاومة مصرية أو مواجهات عسكرية محدودة لحرمانهم من تحقيق أهدافهم .

وإذا كانت النصوص المصرية قد عرّفتْ سكان فلسطين وجنوب سورية بأسمائهم المتداولة فى أوطانهم ، والتى يغلب على الكثير منها الأصول السامية [1] ، فإن ما

(١) " Asiaten ", in L.Ä., I, Kol. 462 0 471.

أُضيف إلى هذه المسميات من دلالات كتابية [١] ، وما الحق بها من صفات ، يشير بوضوح إلى الكيفية التى كان المصريون ينظرون بها إلى هذه الطوائف والجماعات .

فحياة التنقل من بقعة إلى أخرى ، والتى فرضت على الكثير من هذه الجماعات صفات الإقتتال والمدافعة عن النفس ، عبّر عنها المصرى القديم بإضافة عصا الحرب [٢] إلى أقدم مسمى إرتبط بسكان جنوب فلسطين وهو «عامو» $c_3 m\ w$ وإلى المسميات الأخر التى إرتبطت فيما بعد ، بسكان هذه المناطق من الحضر والبدو . والمظهر الخشن الذى كان الآسيويون يظهرون به ، سواء فى ملابسهم ، أو لحيهم الكثيفة [٣] ، عبّر عنه بز الكتف الثقيل الذى إقترن بمسميى « آسيا » *Stt* و « آسيويين » *Sttiw* [٤] . فضلا عما عبرّت عنه صورة رجل ذى لحية قُيدت يداه إلى خلفه من إشارات إلى تمرد هؤلاء المتسللين *shiw* ، وعداوتهم للمصريين التى تُوقعهُمْ فى الأسر أو تقودهم إلى القتل [٥] .

---

(١) وهى التى دُرِجَ على تعريفها فى كتب النحو المصرى القديم بالـ " Determinatives "
A. Gardiner, **Egyptian, Grammar**, 3rd ed., Oxford, 1966, Sign - list, pp. 438 ff.

(٢) **Ibid**., Sign - list., T, 14; **Wb. I**, 167, 19 - 20, 168, I.

(٣) عن مسميات هذه الجماعات والقبائل والكيفية التى كان المصريون ينظرون إليهم بها، تلاحظ ص٣٠٣ ، وعن حياة البداوة والترحال لهذه القبائل والجماعات فتظهرها بوضوح صورة أحد زعماء هذه الجماعات المدعو إبشا P.E Newberry, **Beni Hassan**, I, London, 1893, Tomb No. 3, Pl. XXVIII، (شكل ١ فى هذا البحث) .

(٤) A. Gardiner, **op. cit**., Sign - list., A. 22; **Wb**. IV, 348, 3 - 6 .

(٥) A. Gardiner, **op. cit**., Sign - list., A, 13 .

وإذا ما أُخذت هذه التصورات والمدلولات فى الإعتبار ، فإن الكثير من نقوش آثار الفترة التى سبقت قيام الوحدة السياسية الأولى فى مصر ، لايمكن فصلُها عما أكدته النقوش والنصوص المصرية فى العصر العتيق وعصر الدولة القديمة ، من أن المحاولات المتكررة والحثيثة التى بذلتها هذه الجماعات والقبائل للإستقرار فى مصر قد واجهتها مقاومة مصرية مستمرة ، وهو ما يدفع إلى الإعتقاد بأن **حق التوطن لسكان فلسطين لم يكن مسموحًا به سياسيا أو إقتصاديا حتى قبيل نهاية عصر الدولة القديمة** . وأن إستيطان بعض هذه الجماعات لبعض مناطق فى شرق الدلتا قبل وأثناء عصر اللامركزية الأولى يرجع إلى حالة الضعف التى أصابت الأوضاع الأمنية فى مصر ، وأضعفت بدورها مقدرة الحكام وإستعداداتهم الحربية فى التصدى لهؤلاء النازحين .

شكل ١

وبرغم التباين فى مضامين نقوش عصر ما قبل الأسرات التى سُجِلَ معظمها على مقابض سكاكين وصلايات ، فإن فى محتويات بعضها ما يُفسَّرُ بوجود محاولات لجماعات آسيوية محاربة إستهدفت الوصول إلى الحدود المصرية ، غير أنها إما رُدَّتْ على

أعقابها وهو ما ترجِّحُه نقوش سكين جبل العركى[١] ، أو أُلحِقتْ ببعضها الهزيمة فى معارك برية ، وسيق أفرادها أسرى ، حرص المصريون على تصوير بعضهم ، على ما يعرف الآن بصلاية الأسد والعقبان [٢] ، فى هيئة مشابهة لتلك التى رمزت إلى الأسرى الفلسطينيين المقيدة أيديهم من الخلف (شكل ٢) ، مما يفتح المجال للإعتقاد بأصول بعضها الفلسطينية - السورية .

وإعتماداً على تصوير علامة عصا الحرب المرتبطة، كما تقدم ، بالمسميات ذات الصلة بآسيا والآسيويين على ما يعرف الآن بصلاية الأسلاب (شكل ٣) ، فإن ما نقش على هذه الصلاية يمكن أن يُفسر باحتمالين : أولهما ، أنه يمثل هجرة آسيوية أصطحب أصحابها فيها أبقارهم وحميرهم وكباشهم ، وأن العصا هذه كانت بمثابة تعريف قصد به المصريون تحديد هويّة هؤلاء النازحين الآسيوية ؛ أو أن هذه القطعان من الأنعام والماشية صورت كغنيمة إغتنمها المصريون من مهاجرين - أو غزاة ؟ - آسيويين قدموا من فلسطين ، على عكس ما يُرَجَّحُ الآن من أن أصحاب هذه الأسلاب من أُصولٍ

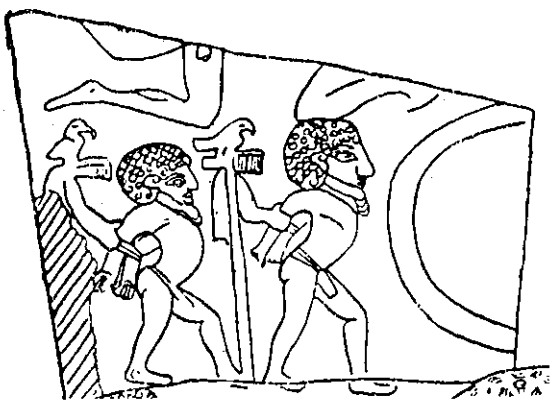

شكل ٢

---

(١) W. Emery, **Archaic Egypt**, Edinburgh, 1963, pp. 38 f., Fig. 1; A. Gardiner, **Egypt of the Pharaohs**, London, 1966, p. 396 f., pl. XX

(٢) عبد العزيز صالح ، **حضارة مصر القديمة وآثارها** ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ١٩٣ ، شكل ٢٥ .

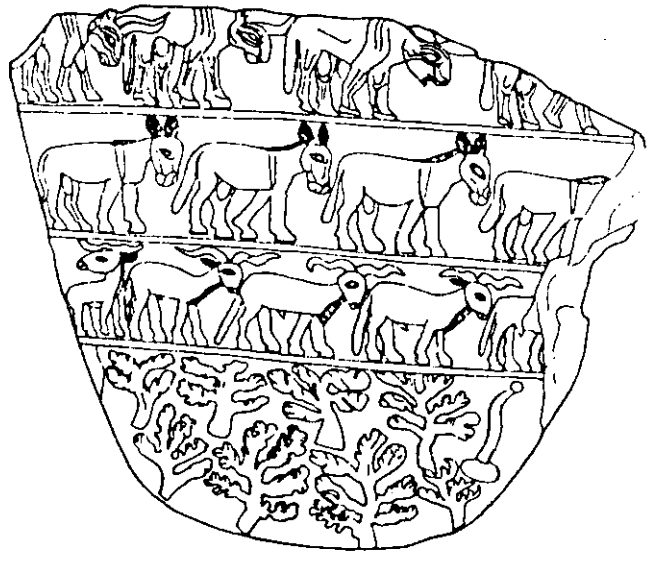

شكل ٣

ليبية[١] . ومما يشجّعُ على تزكية هذين الإحتمالين أن الأشجار التى نقشها الفنان فى الصف الرابع من نقوش هذه الصلاية هى نفس الأشجار التى صورها الفنانون الأقباط تَحفُ بالطريق التى سلكها النبى موسى عليه السلام عند خروجه من مصر مع بنى إسرائيل عبر سيناء إلى فلسطين [٢] (شكل ٤) وهو ما يوحى به بأن المصرى قد إختزن فى ذاكرته صور أشجار سيناء وفلسطين ، والتى يغلب على الظن أنها أشجار الزيتون .

ودلّلت نقوش العصر العتيق والدولة القديمة على أن سياسة مراقبة الآسيويين ورصد

---

(١) ومع صعوبة الأخذ بوجهة نظر الباحثين الذين يعتقدون بأن هذه الأسلاب تمثل غنيمة ليبية معتمدين فى ذلك على ما يرونه يمثل علامة عصا الحرب سالفة الذكر مع مسمى « تحنو *Thnw* الذى يشير إلى الليبيين أو إلى مناطق إقامتهم Krzysztof, M. Cialowiz, **Les Palettes Egyptiennes aux Motifs Zoomonphes et sans Decoration - Etudes de l' Art Prédynastique -**, Uniwersytet Jajiellonski, Krakow, 1991, p. 56, Fig. 25 فإنه مما يؤخذ على Gardiner إعتماده على هذه الآراء ، برغم أنه يرى أن الأصل فى قراءة *ʿ3m* ، سواء فى إرتباطها بالآسيويين *ʿ3mw* أو فى أفعال أخرى ، هو علامة عصا الحرب ٦ التى تنطق *ʿ3m* وليس **Egyptian Grammar**, Sign - list, T 14 *thn*.

(٢) A. Fakhry, **The Necropolis of El - Bagawat in Kharga Oasis**, Cairo, 1951, - The Chapel of Exodus - Fig. 34.

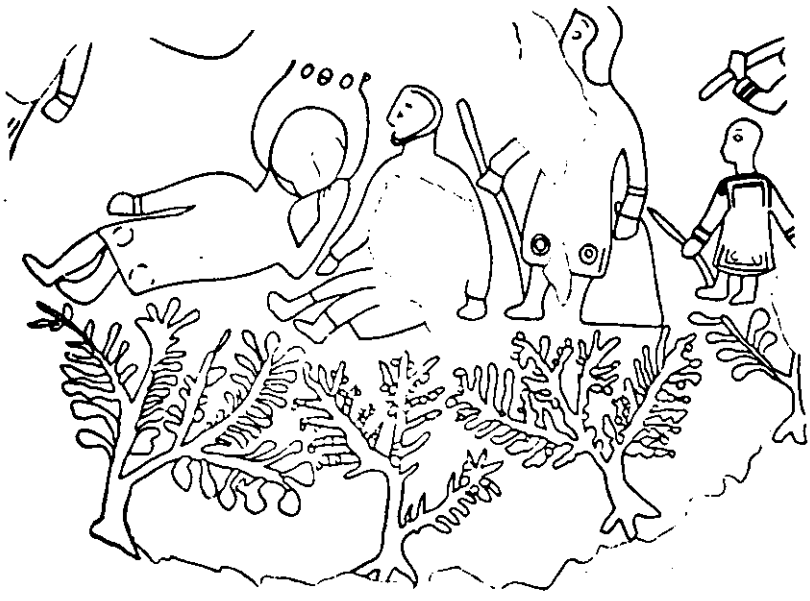

شكل ٤

حركاتهم ومباغتتهم فى أوطانهم [١] ، لم تمنع ظهور مصطلحات استراتيجية يفهم منها ما يمكن إعتباره علاقات سياسية واقتصادية متبادلة بين المصريين وسكان فلسطين وسورية ، سمحت باستقرار بعض المصريين فى فلسطين وجنوب سورية للقيام بمهام إقتصادية ، ونزوح بعض سكان فلسطين إلى مصر كلاجئين إقتصاديين .

واقدم هذه المصطلحات هو ما إتجه إلى تحديد المكان الذى سكنه أهل فلسطين

(١) وإذا كانت الأدلة الأثرية ، فى العصر العتيق ، غير كافية لتحديد مدى إحتياجات مصر لمنتجات فلسطينية وسورية كالأخشاب والعطور ، فإن الإتجاه لتأمين الطرق التجارية البرية عبر سيناء وفلسطين والساحل الفينيقى من تحرشات قطاع الطرق وهجمات البدو اتضحت معالمها على عهد الملك الذى أشارت نقوشه فى هذا الصدد ، إلى أنه حارب هذه الجماعات فيما وراء الحدود الشرقية لسيناء وعاقب أحد قادة هذه الجماعات ، وهو تقليد أصبح مألوفًا منذ بداية عصر الأسرة الثالثة ، حيث درج الملوك على تصوير أنفسهم وهم يضربون زعماء القبائل والجماعات المقيمة على أطراف سيناء وجنوب فلسطين، على صخور وادى مغارة ، W. Emery, op. cit., pp. 74, 204; A. Gardiner, Egypt of the Pharaohs., pp. 43, 74 .

وهو الشرق *i3bt* ، وإنتساب أهله إليه حيث عرَّفتهم النصوص المصرية بالشرقيين *i3btiw* [١] . وإذا صح ما إفترضه A. Erman[٢] من أن أقدم ورود لمصطلح الشرقيين جاء ضمن نقش للملك Udimu ، فإن فى ذلك ما يشير إلى أن حرب هذا الملك كانت موجهة إلى الجماعات الفلسطينية - أهل الشرق - وليس إلى بدو سيناء ، حيث أن النقش برمته يعبر عن عقاب هذا الملك لسكان هذه المنطقة الشرقية [٣] .

وفى النصف الثانى من عصر الدولة القديمة ، كان من مظاهر إزدياد النفوذ السياسى المصرى فى فلسطين وأجزاء من سورية، تنوع هذه المصطلحات وإستقرار مدلولاتها الجغرافية والبشرية . فالمصطلح الجغرافى *Stt* ، يمكن أن يقابل الآن المفهوم العام للمناطق الآسيوية الواقعة إلى الشرق من سيناء والتى يسكنها الآسيويون *Sttiw* [٤]، على إختلاف أجناسهم ولغاتهم . وأمكن للنصوص المصرية منذ ذلك العصر ، تحديد منْ شكَّل من هذه الأجناس أخطاراً سياسية وإقتصادية لسكان وادى النيل مثل قبائل *3mw hriw - sc* [٥] و *Stiw* [٦] من سكان فلسطين بحدودها الحالية ، فيما ذكره المصريون بـ *Rtnw hrt* [٧] ، ومنْ إختلط منهم بالمصريين المقيمين على أطراف الدلتا الشرقية أو داخل سيناء ممن عُرِفوا بمسميات ذات صبغة مصرية تدل على بداوة حياتهم وصحراوية مناطقهم ، مثل *S3sw* [٨] ، و *Mniw-sc* [٩] . وفى مرحلة متأخرة نسبيًا ، وعندما أُخضِعَ الكثير من الجماعات الفلسطينية والسورية للنفوذ السياسى والإدارى المصرى ، إرتبطت مصطلحات جنسية مثل *H3rwi* [١٠] و *prw* [١١] بجماعات

(١) Wb. I, 31, 4

(٢) W. Spiegelberg, Ein neues Denkmal aus der Frühzeit der aegyptischen Kunst, in Z.A.S., XXXV, leipzig, 1897, S. 9.

(٣) W. Emery, op.cit., p. 74.

(٤) Wb. IV, 348, 3 - 6; A. Gardiner, Grammar., Sign - list, S. 22.

(٥) Urk. I, 101, 9 ff.

(٦) Wb. IV, 328.

(٧) Wb. II, 460, 10 - 13.

(٨) Wb. IV, 412, 10 - 11.

(٩) Wb. II, 265, 15.

(١٠) Wb. III, 232, 13 - 16.

(١١) Wb. I, 181, 17.

من أجناس من هذه المناطق إستوطنت ، كما سيعالج ، مدنًا مصرية ومارست أعمالاً مهنية مختلفة .

وإعتمادًا على هذا التباين فى نظرة المصرى القديم لسكان فلسطين وسورية - ما بين مقيمين على أطراف الدلتا يبتغون الرزق ، وبين من شكلوا خطرًا على الحدود المصرية - تبلورت ، لدى الحكام المصريين منذ عصرة الأسرة الخامسة ، سياسة إزدواجية تمثلت فى السماح لبعض اللاجئين من سكان فلسطين ممن أصابهم القحط والفقر بالإقامة فى مصر فيما يمكن إنضواؤه الآن تحت شرعية قوانين اللجوء الاقتصادى ، فى حين تكفَّل العسكريون بمتابعة من لم يُسْمحُ لهم بالإستقرار فى الأراضى المصرية المتاخمة لشرق الدلتا وتعقبهم حتى فلسطين .

وبالنسبة لأقدم ما صوره المصرى ويُرجَّحْ أنه يمثل لجوءًا إقتصاديًا لإحدى الجماعات الأجنبية ، هو ما نقش على جدران الطريق الصاعد لهرم الملك ونيس ، من نهاية الأسرة الخامسة [١] .

وبرغم صعوبة التأكد من الأصول العرقية لهذه الجماعات ، إلا أنه علاوة على الملامح التقليدية للآسيويين التى تبدو واضحة على أحد هؤلاء اللاجئين (شكل ٥ - المشار إليه بالسهم -) ، فإن حركة الإستيراد من فينيقيا فى عهد الملك ساحورع [٢] ، وإزدياد أعداد المهاجرين الآسيويين إلى مصر ، والذى دلَّتْ عليه - كما سيناقش - نصوص كبار القادة العسكريين ، تشير إلى أنهم من الآسيويين الذين تمكَّنَ كثيرون منهم، فيما بعد ، من التوطن فى أماكن معينة من شرق الدلتا والوجه البحرى فإن فترات الضعف التى أصابت مركزية الحكم وإنعكست تأثيراتها سلبًا على الجيوش المصرية ، شهدت نزوحًا جماعيًا للعديد من الطوائف والجماعات الفلسطينية التى إتخذت من طلب العيش ستارًا للتوطن والرزق من العمل فى المناطق الزراعية والورش الحرفية ، ليس فقط فى شرق الدلتا ، بل وفى مناطق مختلفة من الوجه البحرى .

---

(١) É. Drioton, Une Representation de la Famine, in **Bulletin de l' Institut d'Egypte**, XXV, 1943, pp. 45 ff.; W. S. Smith, **The Art and Architecture of Ancient Egypt**, london, 1958, pp. 486.

(٢) A. Gardiner, **Egypt of the Pharaohs**., p. 88.

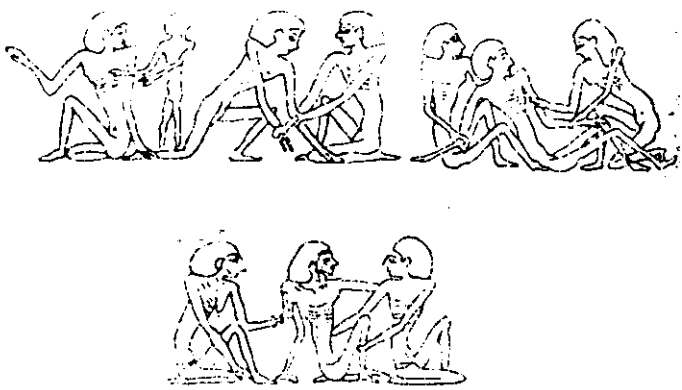

شكل ٥

ومن أبرز الحملات العسكرية التى إستهدفت ، بصورة رئيسية ، طرد الآسيويين من أماكن توطنهم فى شرق الدلتا وتعقبهم عبر سيناء وفلسطين ، تلك التى أشرف على إعدادها وقادها بنفسه القائد العسكرى « ونى » [١] ، وميَّز فيها بين طائفتين إقترن وجودهما ، فى النصوص المصرية ، بجنوب فلسطين وهما طائفة الـ $^{c}3mw$ سالفة الذكر ، وقبائل عرَّف المصريون أفرادها بالمقيمين فى الصحراء $Hriw - s^{c}$ [٢] ، فى إشارة إلى مواطنهم الصحراوية فى جنوب فلسطين .

وإذا ما وضع جانبًا أسلوب المبالغة الذى يكتنف حديث « ونى » فى وصفه لسياسة

(١) Urk. I, 101 - 105 .

(٢) وقد فرَّق المصريون بين هذه الطائفة من ساكنى الصحراء وبين طائفة أخرى تميزت بترحالها الدائم عرفت بالـ $Mniw - s^{c}$ أى عابروا الصحراء ، Wb. IV, 2 - 6 .

تصديه لهذه الطوائف [١] ، فإن من بين دلالات اشرافه أو إدارته لشئون مناطق الأطراف بشرق الدلتا ، والمعروفة باسم 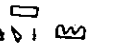 *Hnts* ، ما يرجّحُ وجود مستوطنين من فلسطين فى هذه المناطق التى إمتدت لتشمل أجزاء من فلسطين وجنوب لبنان خضعت للنفوذ المصرى ، وهو ما دعا المصريين إلى تمييز مناطق الـ *Hnts* الواقعة خارج الحدود المصرية [٢] ، بإضافة علامة البلاد النائية والأجنبية إليها ، لتعبِّر فيما تعبِّرُ عن لبنان نفسه [٣] . كذلك لا تخلو مصاحبة « ونى » للعديد من المترجمين الذين ذكر عنهم أن رؤساء ممن حملوا لقب *mr cw*[٤] أشرفوا عليهم ، من تساؤلات تقترن بطبيعة عمل هؤلاء المترجمين ، وهل إقتصر على الترجمة عن أو إلى النوبيين والليبيين المرافقين له ، أم كان لعملهم صلة بالتفاهم مع من توطنوا هذه المناطق من الجماعات الفلسطينية [٥] ، وهو ما يفترض معه أن هؤلاء المترجمين خالطوهم لفترة من الوقت تسنى لهم معرفة لغاتهم ولهجاتهم . كما يوحى بذلك أيضا إصطحاب «ونى» للعديد من ذوى المناصب الإدارية والدينية العليا [٦] .

وبرغم الغموض الذى يكتنف مواقع المناطق الثلاث التى ذكر « ونى » أنه تجاوزها فى حملته ضد بدو الصحراء ، وهى *Iw - mhti* و *Sb3 n Ii - htp* و

---

(١) ظهرت هذه المبالغة فيما يمكن تعريفه الآن بالتعبئة العسكرية العامة التى شملت جنودًا من كل مصر ، ومن الموالين لها من أبناء النوبة وساكنى الصحراء الغربية ، فى أربع حملات برية وخامسة برمائية . ويكفى للتدليل على أن معارك عنيفة لم تحدث تكراره لجملة عاد الجيش فى سلام ، Urk. I, 101, 9 - 16 .

(٢) هناك معان عديدة لهذه المناطق ، منها ما يتصل بالأراضى التى تحفُّ بالمستنقعات والبرك ، أو أراضى الغابات Wb. III, 310, 11 - 14 ، أو أراضى الدولة التى أوقفت محاصيلها لخدمة الطقوس الجنائزية لمعابد أهرامات الملوك ، وهو ما دلَّ عليه اللقب الذى حمله كبار رجال الدولة وأشرفوا بحمله على هذه الأراضى *shd hmw - ntr hnts* .

(٣) Wb. III, 310, 12 - 13; Urk. IV, 169, 17

(٤) Urk. I, 102, 5.

(٥) سيما وأن « ونى » يذكر أنه أحضر جماعات كثيرة جدًا من هؤلاء الآسيويين الفلسطينيين كاسرى أحياء ، Ibid., 104, 3 *in. n. f tswt im.f cs3wt wrt m skrw - cnhw* ، ، يوطنوا فى مصر لأسباب كثيرة .

(٦) Ibid., 102, 1 - 9 .

W^{c}rt n(y) t Hr - nb - M3^{c}t ، فإن فيما ذكره من إبقائه جيوشه فيها [١] ، ما يُرَجِّح أنها مدن كانت مقامة فى أراضٍ بشرق الدلتا ، وليس كما ذُكِرَ من أنه أرسل جيوشه إليها [٢]، أو قادهم فيها [٣]. ومع صحة هذا الإفتراض المتمثل فى توطن هذه الجماعات الآسيوية لهذه المدن فى شرق الدلتا وهو ما يأخذ به أيضًا بعض الباحثين [٤] فإنه يمكن القول ، أن الخطر الذى كان يهدد القوافل التجارية المصرية بين سيناء وفلسطين تمثَّل فى قبائل الـ *^{c}3mw* ، أما جماعات الـ *Hriw - s^{c}* ، فلقد شكل توطنهم لأطراف شرق الدلتا تهديدًا لأنشطة المصريين الزراعية والحرفية فيها ، وهو ما أقرَّتْ به نصوص متأخرة نسبيًا.

تباينت المواقف والقرارات العسكرية التى اتخذها « ونى » بشأن هؤلاء المستوطنين . فكان مما تحقق من حملاته البرية الأربع الأُول ، أن العديد من جماعات المستوطنين الـ *Hriw - s^{c}* سقطوا ما بين قتلى أو أسرى أحضرهم « ونى » إلى العاصمة [٥] . أما الحملة الخامسة ، وهى برمائية ، فلقد إستهدفت بوضوح من ميِّزتهم نصوص « ونى » بالأجانب *h3stiw* الذين سكنوا منطقة يبدو من إسمها المصرى *Šrt gsh* أنها كانت مألوفة لدى المصريين، سواء من أقاموا منهم فى فلسطين ، أو الذين كانوا يقصدونها لأغراض تجارية أو عسكرية . والنصوص التى حددت موقع هذه المنطقة بشمال أراضى البدو الفلسطينيين *hrt t3 Hriw - Ꜣ^{c}* أشارت إلى السبب الذى دفع « ونى » إلى قتالهم وهو تحالفهم مع من تآمروا ضد الوجود المصرى هناك [٦] .

---

(١) ذكر « ونى » أنه أبقى جيوشه التى أشار إليها بضمير الجمع *sn* فى هذه المدن الثلاث *m3^{c} kwi sn* . **Ibid**., 102, 17

(٢) A. Gardiner, **Egypt of the Phanaohs**., p. 96.

(٣) M. Lichtheim., **Ancient Egyptian Literature**, I, los Angeles, 1975, p. 20 note

(٤) أمثال H. Goedicke الذى يرى أن النشاط الحربى لهذه الحملات تركز بصورة رئيسية فى شرق الدلتا وليس فى سيناء أو فلسطين **Ibid**., p. 20, note (5) .

(٥) **Urk**. I, 103, 7 ff. ويلاحظ هامش (٣٦) .

(٦) يذكر النص أن « ونى » (أُبلغَ بوجود متآمرين بين هؤلاء الأجانب فى هذه المنطقة *Dd. tw wnt btkw n - ht - n h3stiw pn m Šrt g s h*) ويشير « إيبوور » فيما بعد إلى مثل هذا المضمون عندما يذكر « ان من جنَّده المصريون - ليكون فى مواجهة هذه الجماعات المهاجرة - نقلوا إلى الآسيويين ما كان يحدث فى مصر - من قلاقل وإضطرابات تشجع ذويهم إلى التسلل إليها *rdit rh Stiw šm n t3* ، A. Gardiner, **The Admonitions of an Egyptian Sage**, Leipzig, 1909, 15, 1.

ومما يلاحظ على النصوص التى تناولت وصف حالة الأوضاع المضطربة فى مصر فى الفترة التى أعقبت عصر الدولة القديمة ، أنها إعتبرت توطن هذه الجماعات الفلسطينية سببًا فى هذه الإضطرابات ، وأن الحديث عن هؤلاء المستوطنين أخذ طابع التحسر والتأسف ، سواء بسبب من إستُقدِموا إلى مصر كأسرى إكتسبوا حق التوطن والعمل فيها ، أو من تسللوا إليها ولم يجدوا من يمنعهم ، فأنتزعوا حق التوطن فيها ، وإن ظل المصريون يعتبرونهم أغرابًا .

إعتبر الحكيم « إيبوور » [١] توطن هذه الجماعات الآسيوية فى المدن المصرية مصدرًا أساسيًا للكوارث والنكبات التى أصابت الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر ، والتى حلَّتْ ، على حد قوله ، بجميع أنحائها ، *m ist nb* . وبرغم إشارته لهذه الجماعات بأصولها العرقية الآسيوية *Stiw* ، إلا أنه وصفهم أيضًا « بالأجانب الذين أصبحوا كالمصريين فى كل الأمكنة » [٢] *h3stiw hprw m rmt m ist nb* . وأن توطنهم أرض مصر كان كالصحراء التى تلتهم الأرض الخصبة [٣] . وأنهم سرعان ما إستوعبوا الأعمال التى يمارسها ساكنوا أحراش الدلتا [٤] التى يُرجَّح أن هذه الجماعات إستقرت بكثافة حولها ، وأصبحوا ماهرين فى تنفيذها مما إعتُبِرَ مزاحمة للمصريين [٥] فيما كانوا يعتمدون عليه كمصادر لرزقهم .

---

(١) **Ibid**., 1, 9; 2, 2, 14; etc.

(٢) **Ibid**., 1, 9.

(٣) يقول النص « أواه التصحر فى الأرض - الخصبة - هجرت الأقاليم ، حين - حلت جماعة اجنبية على مصر » *Iw - ms dsrt ht t3, sp3wt, hb3w, pdt r ii.ti r Kmt* **Ibid**., *3, 1* .

(٤) يقول النص « صار - الأجانب ماهرين فى أعمال رجال الدلتا *h3stiw hmw m k3t idhw* » ، **Ibid**., 4, 8 ، وفى هذا الشأن يذكر H. Frankfort ، أن صناعة النصال من النحاس بدأت تظهر فى مصر فى تلك الفترة ، Egypt and Syria in the First Intermediate Period, in . J.E.A., XII, p. 91 note (3)

(٥) وفى هذا السياق يمكن الإستشهاد بما ذكره « إيبوور » عن إنزواء المصريين الذين عبَّر عنهم بلفظ *rmt* حين قال : *nn ms rmt m ist nb* » ، **Ibid**., 3, 2 ، وأن « من كانوا مصريين أصبحوا كالأغراب - الجالسين - على الطرق » *wnw m rmt hprw m kiwi diw tw hr w3t* **Ibid**., 3, 14 - 4,2 ، ويبدو أن هذا هو ما كان المهاجرون يوصفون به عند حلولهم بمصر .

وفى مرحلة لاحقة ، عندما إزدادت حالة الإضطراب السياسى والأمنى بتولى ملوك عصر اللاَّمركزية الأولى الحكم ، تحول هؤلاء الأجانب من لاجئين إقتصاديين إلى مستوطنين دائمين يتطلعون إلى نيل حقوق المصريين السياسية والاجتماعية كاملة . وإذا صحَّ ما إفترضه H. Frankfort[1] ، من أن أحد زعماء هذه الجماعات الفلسطينية المدعو *Hndi*(*) ، هو نفسه الملك الذى ذكرته قائمة ابيدوس ، فإن هذا يشير بوضوح إلى إكتساب هؤلاء المستوطنين كل حقوق وإختصاصات المواطنين المصريين ، وإندماجهم التام فى الحياة المصرية بما يتطلبه من معرفة للُّغة المصرية ، وهو ما دلَّ عليه تلقب *Hndi* ، وزعيم آخر من أصول فلسطينية يدعى *Trr*(*) أو Telulu ، باللقب المصرى المعروف *Nfr - K3 - Rc*[2] .

وفى فترة النزاع بين البيتين الحاكمين الأهناسى والطيبى ، كان من الطبيعى أن يأخذ توطن هذه الجماعات الآسيوية - الفلسطينية لمنطقة حواف الدلتا الشرقية ، وإلى الشرق منها فى سيناء والعريش [3] ، طابع التهديد لوسط الدلتا ومنف ، ولمصر الوسطى أيضًا، وهو ما يُفْهم من سياق حديث الملك خيتى لإبنه [4] الذى تناول ضمن سياسة المحاذرة والتصدى للجماعات الفلسطينية المهاجرة لمصر ، إنشاء ما يمكن تعريفه الآن بسياسة الأحزمة الدفاعية الأمامية التى ترتكز على مدن محصنة ، تحددت فى حديث خيتى بأقصى مدى يمكن لهذه الجماعات أن تهدد بالوصول إليه وهو *Hbnw* (عاصمة الإقليم السادس عشر من أقاليم مصر العليا ، وموقعها الحالى الحيبة فى مصر

---

(١) **Op. cit.**, pp. 92f.

(*) إسما *Hndi* و Telulu من الأسماء التى شاعت بين سكان فلسطين من الآراميين **Ibid.**, 92 note (2) .

(٢) **Ibid.**, 92 note (2)

(٣) يصعب الأخذ بما يُقْترح من أن الموطن الأصلى لهذه الجماعات كان فى منطقة ما حول العريش التى عرَّفتها النصوص بالمنطقة الخالية من الماء *3hw mw* و H. Fnankfort, **op. cit.**, 97, note (2), ، لأن النفوذ المصرى كان قد إمتد إلى أبعد من ذلك بكثير فى فترة سابقة .

(٤) W. Golénischeff, **Les Papyrus Hiératiques Nos. 1115, 1116 A et 1116 B de l' Ermitage Impérial á St. Pétersburg**, 1913, PL. XII, 91 f.

الوسطى) [١] ، وتمتد حتى منطقة *W3t - hr* (التى يُرجَّح أنها القنطرة شرق الحالية) [٢] . وخصَّ النص بالذكر منطقة إستراتيجية هامة ، يبدو أنها لعبت دوراً فى توطن هؤلاء الفلسطينيين فى وسط الدلتا ومنف ، وهى منطقة *Km - wr* (أو أتريب القريبة من مدينة بنها الحالية) ، حيث يُذكِّرْ خيتى إبنه بأن هذه المدينة بمثابة « حبل الوريد - أو السرة - للأجانب [٣] ، «*Km - wr, mk sy m hp n h3stiw*» .

وإذا كانت هذه المدن المحصنة العامرة بسكانها المسلحين والمستعربين لمواجهة هؤلاء النازحين قد أُقيمت على أراض مصرية ، فإنه باستعادة مصر لوحدتها الوطنية مع بداية عصر الدولة الوسطى ، كان من الضرورى إستحداث إستراتيجية عسكرية تضمن ، إلى جانب إستقرار الأوضاع على الحدود المصرية - الفلسطينية ، إيجاد السبيل لعلاقات طيبة مع سكان فلسطين وسورية بالقدر الذى يضمن تأمين واردات مصر الحيوية من هذه المناطق ، وهى سياسة إعتمدت فى جانبها الأول على إقامة حاميات عسكرية ومراكز تجارية مصرية فى فلسطين وجنوب سورية . وإقتضت فى جانبها الثانى السماح للقوافل التجارية الفلسطينية والسورية بدخول مصر لمزاولة أنشطتها التجارية ، ومنح بعض الفلسطينيين والسوريين ، ممن يلجأون إلى مصر لأسباب إقتصادية ، حق التوطن فيها ، وهو ما ترتب عليه إزدياد النشاط الاستيطانى المتبادل بين المصريين والجماعات الفلسطينية المختلفة ووضوح بعض من جوانبه القانونية والإختصاصية .

ولعل أوضح ما يُذكر بشأن مدى إدراك المصريين للأسباب التى تدفع جماعات البدو الفلسطينية إلى إختراق حدودهم ، هو ما حددته نصوص الملك امنمحات الأول من أن الاستحكامات العسكرية التى أقامها بطول الحدود المصرية - الفلسطينية إستهدفت « منع جماعات الـ *c3mw* من النزوح إلى مصر بغية الحصول على الماء لهم ولماشيتهم *nn rdit h3y c3mw r Kmt dbh.sn mw mi shr.w ssw.w r rdit swri* [٤] *cwt. sn* . وهو ما ردده أيضًا رجل البلاط سنوهى من أن هذه الاستحكامات التى

(١) **Lexikon der Aegyptologie**., II, Kol. 1075; H FranKfort., **op.cit**., p. 98.

(٢) **Ibid**., 98 note (6) .

(٣) **Ibid**., 98 note (4) .

(٤) **Ibid**., p. 98.

نسبت إلى الملك الحاكم « أقيمت لمواجهة الآسيويين والتصدى للبدو[١] *iri r hsf Stiw* . « *r ptpt Mniw* - ꜥ

وفى المقابل ، فإن نصوصًا أخرى ونقوشًا، من نفس هذه الفترة ، تشير بوضوح إلى أنه سُمح للعديد من الجماعات الفلسطينية بدخول مصر والتوطن فيها .

فسنوهى الذى فرَّ من مصر وواجهته فى فراره هذا العديد من المصاعب ، يذكر أنه بعد أن فاق من إحدى غيبوباته تعرَّفَ عليه أحد زعماء هذه القبائل الفلسطينية التى ذكر سنوهى أنه « كان فى مصر [٢] *P3 wnn hr. Kmt*» وإذا كان سنوهى لم يذكر سبب وجود هذا الزعيم الفلسطينى فى مصر ، فإن فى تعرُّف هذا الأخير على سنوهى ما يشير إلى وجود علاقات من نوع ما - قد تكون سياسية أو إقتصادية - بين رجال بلاط الملك أمنمحات الأول ، وسنوهى واحد منهم ، وبين العديد من هذه القيادات الفلسطينية .

وفى ضوء هذه السياسة التى زاوجت بين التصدى للجماعات الفلسطينية والتآلف مع بعضها ، يمكن التحقق من الأهمية التاريخية لبعض من جوانب تفاصيل قصة النبى يوسف عليه السلام فى مصر وتوطن طائفته العبرانية فيها ، سيما وأن تفاصيل ودلالات نقش لجماعة فلسطينية قادها، فى وقت متزامن على ما يبدو أحد الكنعانيين أو الاراميين المدعو « إبشا » إلى مصر [٣] ، يمكن أن تُقَدمْ كشاهد على موثوقية الأخذ بحرفية ما جاء فى القصص القرآنى فى هذا الشأن، وهو ما لم يكن تجاوزه عند معالجة توطن الجماعات الفلسطينية مصر ، فيما بين عصر الدولتين الوسطى والحديثة ، أمرًا ميسرًا .

وأكثر ما يلاحظ على جماعة « إبشا » ، المصورة على جدران مقبرة « خنوم حوتب » ، حاكم الإقليم السادس عشر من أقاليم الوجه القبلى فى عهد الملك سنوسرت الثانى ، تسلحهم بأسلحة تشكل خطورة على من تستعمل ضده ، وهو ما

(١) K. Sethe, **Aegyptische Lesestücke, Darmstadt**, 1959, 4, 11 - 12 . وهو ما يفترض معه وجود أفراد مسلحين كثيرين ، وقيادات عسكرية مدربة على العمل فى مراقبة الحدود وهو ما يُرجِّحْ أنهم ألفوا أو تآلفوا مع هؤلاء البدو الرُحَّلْ .

(٢) **Ibid**., S. 5, 2

(٣) P. E. Newberry, **op. cit**., Pl. XXX; A. Hermann, Das Steinharte Herz, - V. Pharao und das menschlich Herz; a. Exodus und aegyptische Geschichte -, **in Jahrbuch für Antike und Christentum**, IV, 1961, S. 96 ff., Abb. 4.

يدعو إلى الإعتقاد بأن لجوءهم إلى مصر لم يكن للمتاجرة والعودة إلى بلادهم ، بقدر ما كان سعيًا للتوطن والعمل ، سيما وأنهم توغلوا فى مناطق تعتبر بعيدة نسبيًا عن مناطق توطن ذويهم على حواف الدلتا الشرقية وسيناء . وأن ما حملته حميرهُم من أمتعة يمكن إعتبارها هدايا لحاكم الإقليم « خنوم حوتب » [1] ، يستمال بها فيسمح بكفالتهم ومنحهم حق التوطن والعمل الذى حاول زعيمهم ونائبه إظهار براعتهم فيه ، واختص ، فيما يبدو ، برعى الأغنام (شكل ٦) .

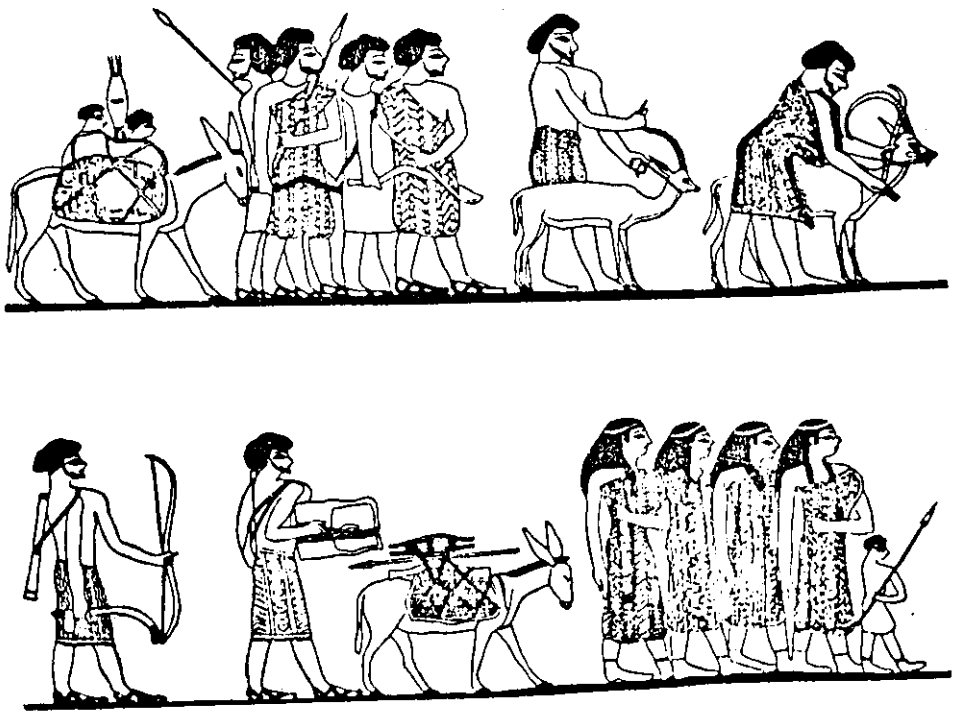

شكل ٦

(١) A. Gardiner, **Egypt of the pharaohs**., p. 128.

وإذا صحَّ هذا التصور ، فهو يتفق مع ما ذُكِرَ بشأن إستقدام النبى يوسف عليه السلام كغلام تحمله قافلة تجارية سُمِحَ لها ولغيرها بالمتاجرة داخل المدن المصرية ، حيث تمكن أفرادها من بيع يوسف إلى عزيز مصر الذى هو بمثابة كبير وزراء الملك . وأغلب الظن أن بيع غلام كيوسف عليه السلام ، وهو لايتحدث إلا لغة العبرانيين لم يكن يُشكِّلُ حرجًا أو عائقًا لأفراد هذه القافلة طالما أن الكثير من أبناء موطنه الفلسطيسنيين يعملون - كما تؤكد آثار هذه الفترة من عصر الدولة الوسطى [1] - فى المناجم والمحاجر، والعديد من ضياع وبيوت الأغنياء من المصريين .

وإذا كان توطن النبى يوسف وإخوته فى مصر ، والذى مهَّد لتوطن الطائفة العبرانية فيها ، يواجه دائمًا بصعوبة تحديد أزمنة وأمكنة بعينها ترتبط بالأحداث ، فإن معالجة قضايا تتصل بالتوطن ذاته تعد فى غاية الأهمية للتعرف على حقوق من توطنوا مصر من الجماعات الفلسطينية المختلفة فيما بين عصر الدولة الوسطى الذى يُرجَّح أن مساعى هؤلاء اللاجئين الفلسطينيين لتحسين ظروف إقامتهم فى مصر أفلحت فى إكساب النابهين والمجتهدين منهم حقوق أبناء الصفوة من المصريين - على غرار ما كان من أمر النبى يوسف عليه السلام - ، وبين عصر الدولة الحديثة التى شهدت على عهد ملك أو أكثر من ملوكها انتكاسة خطيرة ، ليس فقط فى الإلتزام والعمل بهذه القوانين ، ولكن فيما هو على النقيض من ذلك ، وهو إستغلال التباين الجنسى والدينى بين المصريين والمهاجرين المتوطنين لفرض قوانين عمل صارمة وصلت فى تطبيقها على الطائفة العبرانية إلى حد التسخير والإذلال ، وهو ما دفع بعضًا ممن حظوا بالقوة والعلم أمثال النبى موسى عليه السلام إلى تكريس جُلَّ مهامه كنبى فى مصر للتخفيف من آلام أبناء شيعته والسعى إلى إخراجهم من مصر .

وإذا كان هناك تباين فى علاقة كل من النَّبيَّين يوسف وموسى عليهما السلام بمصر، إذ إستقدم أولهما إليها غلامًا ، وولد الثانى بين فلسطينيين متمصرين ، جمعوا إلى لغتهم ومعتقداتهم اللغة والعادات المصرية ، فإنه مما يلاحظ على نشأتيهما ، سواء فى بيت عزيز مصر أو قصر فرعون ، أن حق التوطن الذى تمتعت به الطوائف الفلسطينية

(١) W. C. Hayes, **A Papyrus of the Late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum**, Brooklyn, 1955, 87 ff.

فى مصر أتاح لنفر منهم الإقامة فى أعظم البيوت الحاكمة سواء بوصفهم ربائب يتبنوّنَ أو فتيان يحظون بالرعاية والتكريم والترقى إلى أعلى المناصب الإدارية .

فالأُصول العرقية للنبى يوسف ، والتى يفترض أنها كانت ماثلة أمام المصريين ، لم تمنع الملك المصرى من أن يقربه إليه ويتخيَّره مستشارًا خاصًا له [١] ، بعدما تبين له مدى علمه بمجريات الأحداث التى قرنها القرآن الكريم بتمكن يوسف من تفسير حلم الملك فيما تُوقعَ أن تصاب به مصر من كوارث إقتصادية ، وهو ما شجع الملك للإستجابة بطلب يوسف بجعله المهيمن على موارد مصر الزراعية والإقتصادية ليتسنى له مواجهة ما سيتبع نقص فيضان مياه النيل من جدْبٍ للأرض يسبب فقرًا ومجاعات لم تكن بالجديدة على المصريين .

وتلفت التوراة الإنتباه إلى وجود ما يمكن إعتباره شروطًا يجب توافرها لدى من يرغب من هؤلاء المتوطنين الترقى إلى مثل هذه المناصب الإدارية والسياسية العليا ، ومنها أن يتسمى باسم مصرى ، وأن تكون له زوجة مصرية تتمتع بنسب طيب .

فإعجاب الملك المصرى بيوسف ، وثقته بعلمه وحكمته لم يكونا كافيين ليتقبله المصريون كمسئول أول عن الأنشطة الزراعية والتجارية ، لذلك سماه الملك بنفسه إسمًا يمكن تفسيره بـ « رجل أرض الحياة » [٢] ، وزوَّجه بإبنة كاهن أُون .

ولعل من أبرز ما يشير إلى تساوى هؤلاء المتوطنين من الجماعات الفلسطينية بالمصريين فى ساحات القضاء ، هو الإجراءات القانونية التى تمت بشأن ما وُجِّه إلى النبى يوسف من خيانة عرض سيده المصرى . فبرغم أن الشاهد كان من المصريين ،

---

(١) وهو ما يشير إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى على لسان الملك المصرى ﴿ ... وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ... ﴾ سورة يوسف ، الآية (٥٤) ؛ ولعل أوضح ما تفسر به جملة « إنك اليوم لدينا مكين أمين » ، هو أن الملك منحه لقبى *nht* ويعنى « قوى » ، و *sd3w* ويعنى « حامل الأختام » وهما من الألقاب الشائعة فى عصر الدولة الوسطى . Wb. II, 316, 7; IV, 379, 17

(٢) وأغلب الظن أن القراءتين العربية والافرنجية لهذا الإسم وهما «صفات فعنيح» Zaphenath - paneah، سفر التكوين ، إصحاح ٤١ : ٤٥ ، تأثرتا باللهجة القبطية البحيرية التى تحل الفاء والحاء فيها محل الباء والخاء ، وعليه يمكن أن تكون قراءة الإسم *s n t3 n p3 ʿnh* « رجل أرض الحياة » .

وربما من أقارب الزوجة [١] ، إلا أن إتسامه بالحكمة والعدل دفعه إلى الفصل فى القضية من خلال الحكم على الكيفية التى مزِّقَ بها قميص النبى يوسف . وعندما تبين له صدق قول يوسف [٢] ، لم يخف هذا الشاهد إمتعاضه من مكر زوجة العزيز ، وأتهمها بالكيد ليوسف الـذى فضَّلَ السجن مع غـيره من المصريين عـلى الرضوخ لنزوات زوجـة سيده المصرى [٣] .

ولم تتأثر هذه المساواة القضائية بظروف القهر والتسلط اللَّذين تعرضت لهما الطائفة العبرانية على يد ملك مصرى يعرف تجاوزا بفرعون موسى ، وأغلب الظن أن الملأ الذى أقرَّ قتـل موسى لقتلـه المصرى [٤] ، كان مـجلسًا قضـائيًا لم يـراع كون موسى ربـيب فرعون[٥] ، وقضى بإعدامه قتلاً ، وهى العقوبة التى كانت تطبق على من يقترف جريمة القتل من المصريين [٦] .

ومن أبرز ما يستخلص من قصص إضطـهاد بنى إسرائيل فى مصر ، هو أن تحولا قد طرأ على حـقوق بعض المتوطنين من الجـماعات الفلسطينـية ومنها الطائفة الـعبرانية لأسباب دينيـة وسياسية . فمن الواضح أن قـدرًا من حرية الإعتقاد والعبـادة قد منحت

---

(١) وهو ما يمكن أن يفسر به لفـظ « أهلها » الذى جاء فى سياق الآية ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا . . ﴾ سورة يوسف ، الآية ٢٦ ؛ فـالأهل قد تؤخذ بحرفيتـها وهم الأقارب ، أو بما تجيزه وهم أهلها المصريون .

(٢) وهو ما تـقره الآية : ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيـصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيـمٌ ﴾ سورة يوسف ، الآية (٢٨) ؛ فتـمزَّقْ القميص من الخلف يعـنى أن إمرأة العزيز هى التى لاحقـته وامسكت بقميصه من الخلف فمزق .

(٣) تقول الآية : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ الآية (٣٣) .

(٤) تقول الآية ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِيـنَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ سورة القصص ، الآية (٢٠) .

(٥) وذلك من قول فـرعون لموسى : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ ، سورة الشعراء ، الآية (١٨) .

(٦) وهو ما عالجته الباحثه منال محمود محمد فى رسالتها للماجستير « **العقوبة فى مصر القديمة . . .** » والتى أشرف عليها الأستاذ الدكتور على رضوان ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ١٤١ .

لبعض هذه الجماعات ومنها الطائفة العبرانية حتى قبل أن يتهيأ النبى يوسف لما أُسند إليه من مناصب قيادية . ففيما يمكن إعتباره نقطة إعجاز إختص بها القرآن الكريم شطرًا من حياة النبى يوسف فى السجن ، ولم توردها التوارة ، محاججته لإثنين من المصريين دخلا معه السجن ، فيما كان المصريون يعبدونه من أرباب متفرقة ، فيسأل رفيقيه فى السجن عن تلكم الأرباب ، ويتولى هو بنفسه الإجابة عليها ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

تعرضت هذه الحرية الدينية لإنتكاسة خطيرة قبيل ميلاد النبى موسى عليه السلام ، ودللً عليها ما ذكره القرآن الكريم من إعتبار فرعون نفسه إلها لكل من على أرض مصر بما فيهم العبرانيون ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (٢) . فضلا عن إحساس بفقدان الثقة فى ولاء هؤلاء العبرانيين ، فيما تفسره التوارة بخشية فرعون من تحول ولائهم لأعدائه وإنضمامهم إليهم إذا ما نشبت بينهم وبين المصريين حرب (٣) .

وسواء كان المقصود بالعدو هنا ، الغزاة الهكسوس أو غيرهم من سكان فلسطين الذين قد يكونوا ساندوهم ، أو لم يعلنوا تأييدهم للمصريين ، فلعل من أوضح إنعكاسات هذا الإستعداء للجماعات الفلسطينية وبخاصة الطائفة العبرانية (٤) ، إعادة

(١) سورة يوسف ، الآيات ٣٩ - ٤٠ .

(٢) سورة القصص ، الآية ٣٨ .

(٣) تقول التوراة فى هذا الشأن « ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف . فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر واعظم منا ، هلم نحتال لهم لَلاَّ ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض » ، سفر الخروج ، الإصحاح الأول ٨ - ١٠ ؛ مع التحفظ على ما ذكر بشأن أكثرية بنى إسرائيل التى تفوق أعداد المصريين حينذاك .

(٤) ومن أبرز ما يؤكده القرآن الكريم فى هذا الشأن ، أن غطرسة وإستبداد فرعون الذى زامن النبى موسى عليه السلام إتسعت لتشمل كل المتوطنين بمصر بما فيها الطائفة العبرانية التى أُشير إليها كطائفة من أهل مصر ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ سورة القصص ، الآية (٤) .

النظر فى توطنهم الذى تحدد بمنطقة ما بشرق الدلتا ، مع تشديد الرقابة السياسية والدينية عليهم ، وتكليفهم بأعمال عمومية شاقة كإقامة المدن ، وشق القنوات وإصلاح الأراضى القفرة وإستزراعها[١] ، فضلاً عن حرمانهم من حق مغادرة الأراضى المصرية [٢] .

وسواء كانت فلسطين هى موطن الهكسوس ، أو منطقة تجمعهم لغزو مصر والإقامة بها فيما يمكن إعتباره توطنا قهريًا ، فإن تحولا جذريا طرأ على علاقة المصريين بالجماعات الفلسطينية والسورية التى خضعت معظم أراضيها للنفوذ السياسى للملوك الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، وأصبح إستقدام الكثيرين منهم لمصر وتوطين بعضهم فيها مرتكزًا أساسيًا من مرتكزات السياسة الخارجية المصرية [٣] التى إعتمدت فى سعيها لكسب ولاء قادة وامراء هذه الجماعات على تمكين بعض أبنائهم من التعليم فى مصر ، والترقى إلى المناصب الإدارية العليا على غرار ما كان متبعًا زمن النبى يوسف ، ومن بين هؤلاء الذين تدرجوا فى هذه المناسب المدعو « پاى » ، الذى بلغ سلطانه الإدارى والسياسى حدًا تمكن به من مزاحمة ولى عهد الملك ستى الثانى فى وراثته للعرش [٤] .

أما من أبدو سُخطًا أو تمردًا على النفوذ السياسى المصرى فكان من بين أسباب استقدامهم إلى مصر العمل فى البيوت الحاكمة ، وفى مجالات العمل المختلفة مهم جد (شكل ٧) ، وهو ما دفع المصريين إلى إستخدام مسميات عرقية مثل *ʿprw* و *H3rwi* ، التى إطلقت على الطائفة العبرانية ، وسكان جنوب سورية ، فى الإشارة إلى عمال المناجم والمحاجر والحقول وغيرهم [٥] .

---

(١) سفر الخروج ؛ الإصحاح الأول ، ١١ - ١٤ .

(٢) ويتضح ذلك فيما ذكره القرآن من مخاطبة الله سبحانه وتعالى لكل من موسى وأخيه هارون : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ سورة الشعراء ، الآيات (١٦) - (١٦) .

(٣) A. Hermann, **op. cit.**, S. 96, 100; D.H.Yurco, Mernptah's Canaanite Campaign, in **JARCE**., XXIII, 1986, pp. 196, 210 - 211 .

(٤) A. Gardiner, **op. cit**., pp. 277 f.

(٥) A. Hermann, **op. cit**., S. 96, Anm. 136; **Wb. I**, 181, 17; III, 232, 13 - 15 .

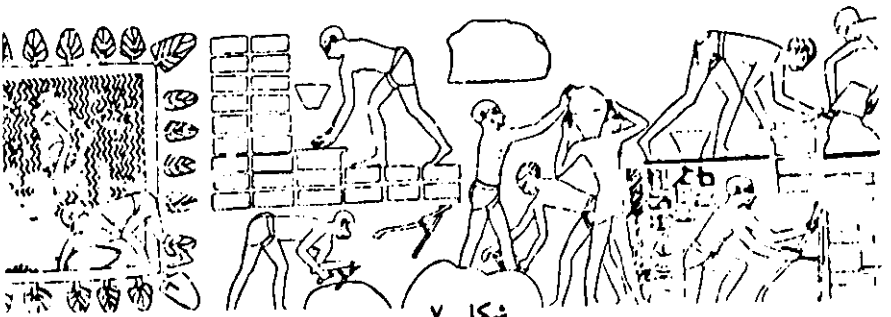

شكل ٧

أما بالنسبة لتوطن المصريين مناطق من فلسطين وجنوب سورية ، فإن القرائن الأثرية والأدبية تشير إلى أن هذا التوطن إستهدف نشاطين رئيسيين ، ظهر أثر أولهما فيما يمكن تعريفه بالمراكز الإقتصادية التى تكوّنت فى موانئ تجارية كجبيل وغزة وانحصرت مهام المتوطنين المصريين فيها على تنظيم وإدارة المعاملات التجارية بين تجار هذه المناطق وأقرنائهم المصريين . وإتسع نطاق ثانيهما ليشمل الحركة الأمنية على جانبى الحدود المصرية - الفلسطينية ، وذلك بإقامة مواضع الحراسة ومراكز مراقبة حركات البدو وتحديد مدى تهديدها لمصر . وكان من دوافع إقامة العديد منها على أراض فلسطينية وسورية هو خضوع هذه الأراضى للسيطرة العسكرية المصرية ، أو وجود تحالفات عسكرية بين حكامها والملوك المصريين ، تتحول بمقتضاها هذه المواضع والمراكز إلى ثكنات عسكرية يمكن للمتوطنين بها من الجنود المصريين مجابهة عدو أكبر يهدد الأراضى الفلسطينية والمصرية على حد سواء .

ومما يزكى صحة ما تحدثت عنه النقوش المبكرة التى تتصل بقضايا التوطن المصرى التجارى والأمنى فى فلسطين والساحل الفينيقى ، وجود بعض آثار مصرية ، سواء من العصر العتيق، أو قبله داخل أبنية إختلفت أشكالها وأحجامها من منطقة إلى أخرى[1] .

(١) وكما يرى كل من B. Brandle و N. Porat ، إن هذه الأبنية التى عثر عليها فى مناطق شملت الساحل الفينيقى وجنوب فلسطين ، إستخدمت لأغراض تجارية وعسكرية ؛ Evidénce for Egyptian Colonization in the Southern Coastal Plain and lowlands of Canaan during the Early Bronze I Period, in the " **The Nile Delta in Transition 4th, 3rd Millennium, B.C.**, " Tell Aviv, 1992, pp. 441 ff.; Egyptian Colny in Southern Palestine during the Late Predynastic and Early Dynastic Period., **Ibid**., pp. 385 ff.

فضلاً عما يلاحظ من وجود منتجات فلسطينية وسورية كالأخشاب والزيوت العطرية فى جبانات هذا العصر ذكرت نصوص متأخرة أن إحضارها من فلسطين وسورية كان هدفًا جوهريًا لسياسة ملوك الدولة القديمة الخارجية [١] .

وسواء كانت الحملات العسكرية ، التى إتضحت أهدافها فى السيطرة على جنوب فلسطين منذ عهد سنفرو وخوفو وإتخذت أعنف أشكالها فى عهد بيى الأول وإبنه مرنرع، قد نجحت فى السيطرة على هذه المناطق ، أو اكتفت بإخضاع الجماعات الفلسطينية من قبائل الـ *ʿ3mw* والـ *Hriw - sˁ* ، وأسر بعضهم ، كما تقدم فإنه من المرجّح أن جالية كبيرة من التجار المصريين إستوطنت فى جبيل أولى القرب منها [٢] .

ومن بواعث الإعتقاد بأن المصريين منذ عصر الدولة القديمة كانوا ينظرون إلى هذه المنطقة من جنوب لبنان وإلى سكانها الذين إختلطوا بالتوطنين المصريين فيها نظرة تختلف عن نظرة الإستعداء التى كانوا يعاملون بها بقية الجماعات الفلسطينية والسورية ، أن التسمية المصرية التى أُطلقت على جبيل وما حولها وهى *Kbn*[٣] ترتبط أغلب الظن بما كان المصريون يحصلون عليه من زيوت عطرية أطلق المصريون عليها *Kpn*[٤] ، وظهور مصطلحات أخرى إقترنت بهذه التسمية كالمسافرين إليها بحرًا والذين أطلقت النصوص عليهم *Kpniw* ، أو بالسفن التى يلاحظ من تسميتها *Kpni*[٥] أنها ذات صلة بهذه المنطقة .

وبخصوص الفخار المصرى الذى عثر عليه فى جبيل ويعود إلى العصر العتيق ، يُرجّح W. Emery[٦] أنه إما كان ضمن الصادرات الخارجية المصرية إلى هذه المنطقة ،

---

(١) W. B. Emery, **op. cit.**, p. 204 f.; M. Wright, Contacts between Egypt and Syropalestine during the Old Kingdom, in **Biblical Anchaeologist**, 51 no. 2, 1988, pp. 143 ff.

(٢) مما أشار إليه A. Gardiner فى هذا الشأن ويعدُ مقبولاً ، أنه برغم كثرة ما عُثِر عليه من آثار مصرية تؤرخ بكل العصور فى جبيل ، فإن الإعتقاد بأن جبيل كلها كانت مستوطنة مصرية يصعب قبوله . **Op. cit.**, p. 89

(٣) **Wb**. IV, 118, 2

(٤) R.O. Faulkner, **A Concise Dictionary of Middle Egyptian**, Oxford, 1962, 284.

(٥) **Wb**. IV, 118, 3; A. Gandiner, **op. cit.**, 36 .

(٦) **Op. cit.**, p. 204 f.

أو أنه صنع محليًا هناك . وإذا تأكد هذا الرأى الأخير فإن الإعتقاد بأن متوطنين مصريين هم الذين صنعوه ، يكون أكثر ترجيحًا من أن سكان هذه المنطقة هم الذين صنعوه .

وفى جبيل أيضًا ، عثَر P. Montet وآخرون [١] ، على معبد يبدو من النقوش والآثار التى عُثر عليها بين أنقاضه أنه أُقيم فى هذه المنطقة منذ بداية عصر الدولة القديمة التى سُجِّلَ على جدرانه الكثير من أسماء ملوكها .

وأغلب الظن أن المصريين المقيمين هناك لأغراض تجارية شيدوه ليتعبدوا فيه للإلهة حتحور . وربما أرادوا بتسجيل أسماء ملوكهم على جدرانه إظهار ولائهم لهم ، وتذكير سكان هذه المنطقة بقوتهم فلا يتحرشون بهم . ولايستبعد أن بعضًا من سكان جبيل ، ممن تقبلوا المعتقدات المصرية المتصلة بالإلهة حتحور ، جمعوا بين عبادتها فى هذا المعبد وبين عبادة إلهتهم عشترة ، مما جعل البعض يعتقد أن هذا المعبد معبد أمورى [٢] . ويعتقد H. Frankfort أن الضعف الذى أصاب مصر منذ أواخر عصر يسى الثانى ، وأوصلها إلى حالة التردى والإنكماش التى تحدث عنها « إيوور » يمكن ملاحظته على أحوال هذه الجالية المصرية حيث أصاب هذا المعبد بعض الخراب [٣] ، وربما تحولت العبادة فيه كلية إلى الإلهة عشترة ، وعليه يمكن فهم حديث « إيوور » « عن توقف السفر إلى جبيل حينذاك » [٤] *nn - ms hd.tw r Kpni min* .

وكما تقدم ، فإن من أكمل النصوص الأدبية التى تُقدم وُصفًا لحقوق من يمكن إعتبارهم لاجئين سياسيين خرجوا من مصر لأسباب مختلفة وتوطنوا فلسطين، قصة رجل البلاط «سنوهى» [٥] التى تشابهت فى كثير من جوانبها بلجوء النبى موسى عليه السلام إلى نفس المنطقة تقريبًا من فلسطين، حيث قضى الإثنان ، باعتبارهما مصريين ، شطراً من حياتيهما بين سكان هذه المنطقة، وتزوجا من فلسطينيتين وانجبا ذرية ثم عادا إلى مصر .

---

(١) **Byblos et L. Egypte**, Paris, 1928, pp. 30 f.; A. Gandiner, **op. cit.**, p. 89.

(٢) وهى سياسة تتشابه إلى حد بعيد بسياسة المزاوجة العقائدية بين آلهة الاغريق والرومان المقيمين فى مصر، وبين مثيلاتها من الآلهة المصرية ، I. Noshy, The **Arts in Ptolemaic Egypt, London**, 1937, p. 72 f.

(٣) **Op. cit.**, p. 83 f

(٤) A. Gardiner, **The Admonitions**., 3, 7.

(٥) هذه هى القراءة الدارجة الآن والتى يُرجَّحُ أنها محورة عن الإسم المصرى لبطل هذه القصة وهو *S3-nht* .

وإذا كان لجوء سنوهى إلى فلسطين يلقى الضوء على حقوق المتوطنين المصريين من أمثاله فى هذه المناطق فى عصر الدولة الوسطى، فإن فيما ذكرته التوراة من تفاصيل إقامة النبى موسى عليه السلام فى «مدين» وأكد بعضه القرآن الكريم، ما يعد تواصلاً للعمل بهذه الحقوق مع بداية عصور الدولة الحديثة وتباينًا، فى نفس الوقت، لما أصاب هذه الحقوق من تجاوزات أشبه بالإنتكاسة، عند التعرف على ما لاقاه الكاهن «ونآمون» من صدود وتحرش من سكان فلسطين وجنوب سورية بحكم إقامته الإضطرارية بين سكانها .

حمل سنوهى لقبًا ذا دلالة كبيرة فيما يتصل بما أقامه ملوك الأسرة الثانية عشرة من مستوطنات داخل فلسطين التى ذكرها بأرض الآسيويين وهو لقب « مدير ضياع الحاكم - أى الملك - فى أرض الآسيويين » [١] . *ᶜd - mr d3tt iti m t3 Stiw* . وهو ما يفسر لجوءه العنوى إلى هذه المناطق عند سماعه نبأ محاولة إغتيال الملك أمنمحات الأول ، حيث يؤكد النص أنه كان ملمًا بالطرق المؤدية إليها [٢] .

ويفهم من حديث سنوهى أن المنطقة التى تقع بها أسوار الحاكم inbw hk3 مثّلت الحدود السياسية بين مصر وفلسطين ، حيث ذكر أنه رأى الآسيويين فيما وراءها [٣] . وأشار إلى مدن كان مسموحًا له بالتنقل فيما بينها مثل *Pnti* ، *Iw m Km-wr* ، *Kdm* ، *Kbni* . وبرغم أن أحد شيوخ القبائل فى مدينة Kdm إستضافة بين أفراد قبيلته [٤] ، إلا أنه يلاحظ أن هذا الشيخ ، وكان يلقب بالمصرية بلقب mtn ، لم يكن من حقه كفالة من هو فى حالة سنوهى للإقامة فى فلسطين التى ذكرها النص بـ *Rtnw hrt* ، وهو الحق الذى يذكر سنوهى أنه كان من إختصاصات حاكمها الملقب بـ *hk3 Rtnw* ، الذى إستدعاه وأخبره أنه سيكون سعيدًا معه لأنه سيعيش بين مصريين عرّفهم بـ « سكان مصر » *rmt n Kmt* ، الذين ذكر أنه « كانوا معه » [٥] *wnw hnᶜ.f* .

---

(١) A. M. Blackman, **Middle Egyptian Stories, I, in Bibliotheca Aegyptiaca, II**, Brussels, 1932, p. 1, 2, 9. ويفضل الأخذ بوجهة نظر R. O. Faulkner فى اعتبار *ᶜd-mr* لقبًا مزدوجًا بمعنى « مدير » ، و *d3tt* بمعنى « ضياع » المرجع وهو **Dictionary.**, 51,319

(٢) K. Sethe, **op. cit**., S. 4, 2ff.

(٣) **Ibid**., S. 4, 11 - 12

(٤) **Ibid**., S. 5, 1 - 2

(٥) **Ibid**., S. 5, 7 - 8

ويفهم من حديث سنوهى أيضًا أن الإستيطان فى *Rtnw hrt* بهذه الكيفية يرتبط بشخصية المتوطن السوية وحصافته ، وهو ما ذكر سنوهى بشأنه أن المصريين الذين كانوا مع حاكم فلسطين قد أبلغوه إياه وشهدوا له به [١] *rh. n. f kd.i sdm.n.f. ss3. i* . فضلاً عن قوة الشكيمة التى ذكر سنوهى أن حاكم فلسطين لمسها فيه فجعله مُقَدَّمًا على أبنائه [٢] *mtr. n wi rmt Kmt ntiw hnc. f* .

ومن أبرز ما ذكره سنوهى فى نصوصه وعالجته الكتب السماوية ، قضية زواج المتوطنين المصريين من نساء فلسطينيات ، وهل كان مثل هذا الزواج شرطًا أساسيًا للسماح بالتوطن ؟ ، أم كان بمثابة مكافأة أو أجر لما سيؤديه المتوطن من عمل ويبذله من جهد ؟

وإذا كان سنوهى لم يوضح دوافع إقدام حاكم فلسطين على تزويجه من كبرى بناته، واكتفى بذكر ذلك ضمنيًا [٣] ، فإن القرآن الكريم ، فى لفتة إعجازية رائعة لم يرد لها ذكر فى التوراة ، يذكر أن زواج موسى - بوصفه مصريًا [٤] - من إبنة أحد رجال مدين الفلسطينية كان مشروطًا بالعمل ثمانية أعوام ، أو عشر إذا رغب موسى [٥] .

---

(١) **Ibid**., S. 5, 8 - 10

(٢) يذكر النص أن حاكم فلسطين تحدث إلى سنوهى قائلا « انظر لأنك عظيم ستبقى معى ، وسيكون طيبًا ما سأفعله لك » - *mk tw c3 wnn.k hnc.i nfr irrt.i n.k* ثم يسترسل سنوهى فى سرد ما قدمه له حاكم فلسطين هذا من وظائف عليا وغيرها **Ibid**., S. 7, 4 - 14 .

(٣) حيث ورد ذكر ذلك مباشرة بعدما ذكر سنوهى أن هذا الحاكم « قدمه على أبنائه ، وزوجه بكبرى بناته » **Ibid**., S. 7, 4 - 6 *rdi.n.f wi m - h3t hrdw.f mni.n.f wi m s3t.f, Wrt*

(٤) وهو ما دلَّ عليه مظهر موسى ولغته اللَّذين دفعا هذه الإبنة إلى أن تذكر لأبيها أن مصريًا سقى لها ولأخوتها ، سفر الخروج ، الاصحاح الثانى ، ١٩ .

(٥) يذكر القرآن الكريم فى هذا الشأن ما يلى : ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ ، سورة القصص ، الآيتان ٢٦ - ٢٧ . ومما يلفت الإنتباه أن الصفتين الأساسيتين اللتين أهَّلتا موسى للإقامة بين أهل مدين وهما « القوى والأمين » ، ورد ذكرهما على لسان النبى يوسف عليه السلام ، فى سياق ما قدمه ليزكى به نفسه لدى الملك المصرى فيسمح له بالإقامة فى مصر والإشراف على خزائن غلالها .

وإذا ما أُخذ فى الإعتبار أن عادة الزواج المشروط بـعمل الزوج سنين محددة ومتفق عليها ، كانت عادة متداولة بين القبائل الفلسطينية ، حيث ذكرت التوراة أن يعقوب عليه السلام خطب راحيل إبنة خاله فى مقابل خدمته لأبيها سبع سنوات [١] ، فإن زواج موسى كمصرى من إبنة هذا الرجل المدْيني يمكن إعتباره شرطًا من شروط كفالته وتوطينه .

وبرغم إلتزام الطائفة العبرانية فى مصر ، قبيل وفى عهد موسى بمعتقداتهم الدينية والكثير من عاداتهم التى تميزوا بها والتى أثارت حقد المصريين عليهم ، فإنه من المؤكد أنهم تساووا بالمصريين فى الكثير من الحقوق المدنية وفى التطبع بالعادات والتقاليد المصرية التى تعتمد على التحدث باللغة المصرية ، وهو ما أقرّه القرآن الكريم بأنهم طائفة من أهل مصر وقع عليها بطش فرعون [٢] . وإعتمادًا على ذلك يمكن إعتبار لجوء الطائفة العبرانية على عهد موسى إلى فلسطين ، وتطلعهم إلى الإستقرار بها أمرًا طبيعيًا تحكمه قوانين الهجرة والتوطن سالفة الذكر . غير أن كثرة عددهم هذه المرة ، جعلت سكان فلسطين وأكثرهم من الكنعانيين ، يتخوفون من توطنهم فيها ، وربما منعوهم من تحقيق ذلك ، الأمر الذى أضحى العبرانيون معه يرفضون دخول فلسطين على عهد موسى [٣] . ولايطيب لهم المقامُ من بعده ، وهو ما تزكيه نصوص الملك المصرى مرنبتاح التى أشارت إلى أنه أخضع طوائف كثيرة من سكان فلسطين وجنوب سورية ذكرتهم بأسمائهم التى تميزت بإضافة علامة الموطن الأجنبى صلى للدلالة على إستقرارهم مناطق من فلسطين وجنوب سورية باستثناء الطائفة العبرانية التى دلَّ على عدم تمكنها من إيجاد موطن شرعى لها فى فلسطين أنها ذكرت باسمها السياسى الذى بدأت تعرف به وهو إسرائيل ولكن بدون هذه العلامة [٤] .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٣٩ ، ١٥ - ٢٠ .

(٢) وهو ما يؤكده القرآن الكريم فى الآية (٤) من سورة القصص ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

(٣) وهو ما أكده القرآن الكريم فى قوله تعالى من سورة المائدة ، الآية (٢٢). ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ .

(٤) F. J. Yurco, **op. cit**., p. 200.

وبرغم حالة الضعف السياسى فى مصر ، وما أصاب حركة التوطن المصرى من إنكماش فى فلسطين وجبيل زمن الأسرة العشرين ، إلا أن هناك من الدلائل ما يشير إلى بقاء بعض المصريين ممن توطنوا فى جبيل يؤدون بعض الوظائف . وكان للغتهم وعاداتهم أثر بين سكان هذه المناطق التى تحدث عنها الكاهن المصرى « ونآمون » بوصفها أرضا لآمون[١] رع سيد الآلهة ، والذى ظل إسمه مقترنًا بأسماء بعض أبناء هذه المناطق [٢] . فضلاً عن إستعانة حاكم جبيل بمغنية مصرية آثر « ونآمون » أن يعرِّفها باسمها المصرى المرتبط بموطنها مصر ، حين ذكر أن حاكم جبيل أعطاها إياه لتُسرِّى عنه [٣] . وعلى حد قول « ونآمون » لم تكن لغة مصر - نتيجة لسياسة التوطن هذه - مجهولة حتى لدى أبناء قبرص [٤] .

(١) علاوة على ذكره أنها « أرض آمون ، أشار إلى أن « لبنان ذاته ضمن ما يمتلكه *hr mntw.f P3 Rbrn* A. Gardiner, **Late Egyption Stories, in Bibliotheca Aegyptiaca, I.** Bruxelles, 1932, 69, 7 - 8 .

(٢) مثل المدعو *Pn-Imn* ، **Ibid**., 71, 12* .

(٣) **Ibid**., 74, 5 - 6 .

(٤) **Ibid**., 75, 5 .